بعد قيد پيسو محمد قروميد

صبر وحكمة

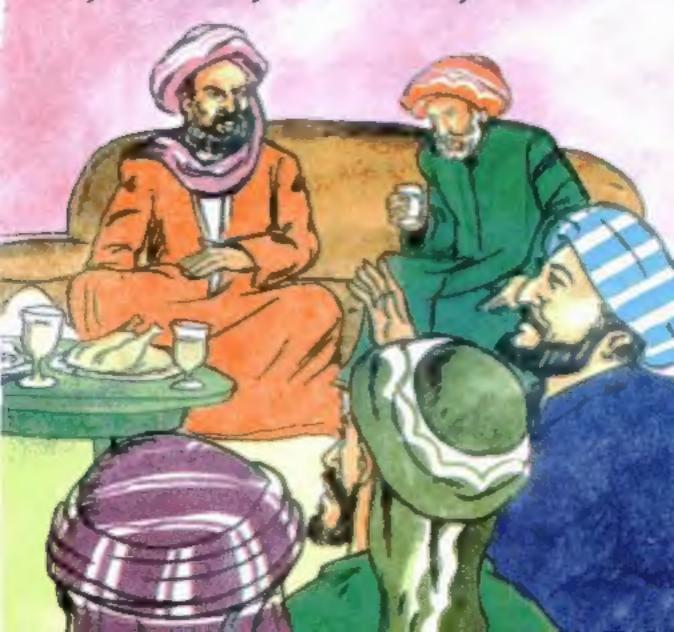
إعداد أمير سعيد السمار

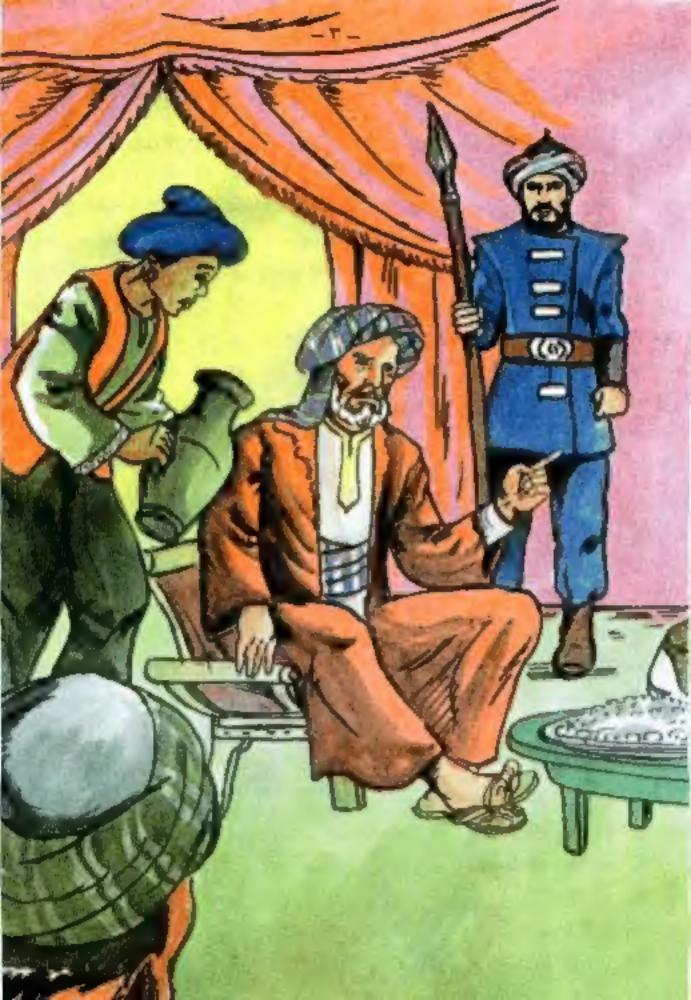


رسوم عبد الرحمن بكر الفاشسر مكتبـــــة مصــــر ٣ شارع أثامل مدقى بالفجالة

صيرٌ وحكمة .. !!

صفا الجوُّ وهدأت الخواطرُ ، وأقبل المِنْقَرِيُّون إلى دار سيّدِهم الحبيب ، قيس بن عاصم ، ليجاذبَهم أطراف أحاديث شتى ، فى الحرب والإغارة ، والفتك والغدر ، والصيّد والقنص ، والسّحاب المعطر والجداب الماحل ،





والأبقارِ والإبلِ ، إلى غيرِ ذلك من أحاديث يجد فيها أهلُ البوادي لذةً ومتعة ، لما يشيع فيها من فخسرٍ وتحدث عن النفس ، يُرضى طبيعة العربي الأصيل ،



ويشعرُه بأنه إنسانً يؤثّرُ في هذه الدنيا ، لا كميةً مهملةً على يسار الوجودِ .. !!

واندفع في الحديثِ ، يطوى هذا وينشرُ ذاك ، وهمو فخورٌ بهذه المكانةِ التي يحتلُها في نفوس قومِه ، والمنزلةِ التي تتمتّع بها عشيرتُه بين غيرها من العشائر والقبائل، وما أجملَ العربيُّ حينما يذكرُ هذه المعانيَ كلُّها ، فتنتفخُ أوداجُه ، وتتضخَمَ عنقُه ، ويرتفعَ رأسُه عاليًا بسين الرءوس، فلا تكادُ تشعرُ به والحالُ هذه _ إنسانًا يحيا كما يحيا النَّاسُ ـ أو آدميًا يعيشُ كما يعيشون ، بـل كأنما هو ملِكٌ من ملوكِ الدنيا في مكنتهِ أن يطيرُ في الهواءِ ويلمسُ السّماءُ ، ويُعلِّقُ في الأجواء ، ويسبحُ بين طبقاتِ الماء ، ويسرى مسع الوحسوشِ والطباءِ لا يعجزه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء .. !! تلك طبيعة غريبة ، يكاد ينفسردُ بها

العربيُّ من بينِ غيرِه من أجناسِ الناسِ، ولهذه الصفةِ أثرُّ كبيرٌ في مجرى حياتِه وطرائقِ معائِشه على الدوامِ .. !! وكأنما كان إقبالُ الحاضرين عليه مدعاةً لإبداعِه في الحديثِ وتفنيه فيه حتى أعجبَ به الحاضرون كلُهم

> أيما إعجاب . وكان منظرُه جالسًا محتبيًا بينهم في فِناء الدارِ يدفع إلى الإعجاب والإجلال .

وبينما هو على هذه الحالِ من الصّفاء الغامر والسّرور المبين، إذ أتى له برَجلين : أحدُهما مكتوف، والآخرُ مقتولٌ لاتـزال دماؤه حارة قالية ، وكأغما كان بدنه يصرُخ من الظّلم ، وينادى بطغيان الإنسان واستهانيه بالحياة بطغيان الإنسان واستهانيه بالحياة





العَجب، وميطرَ عليهم شعورٌ غريبٌ، كلّه الرهبةُ واخوفُ، والتشاؤمُ الأليمُ، واعتقدوا أن السماءُ ستلقى شواظًا من نار، وأن الصاعقة ستنقضُ على هذه الرءوس جيعًا، وأن الزوبعة ستهبُّ عن قريب، وأن العاصفة ستعصفُ بكل ما في طريقِها، وتأتى على الأخضر واليابس، وأن قيسَ بنَ عاصم سيشنها حربًا ضروسًا لا تهدأ ولا تستقرُّ.

يَاللَّهِ ، لقد كَانَ الرَّجَلُ المُكتوفُ ابْنَ أَخِيهِ ، والرَّجِـلُ المُقتولُ ولدَّه . وأولَهُما القاتلُ .. !!

وصوّب قيس نظرات قاتلة إلى الأفق الرحيب .. لقد جنّب نظرات كل إنسان إشفاقًا به ، وحدبًا عليه ، ووجد في هذا راحة ، وفرّصة للتفكير الذي لابد منه في هذا المازق الحرج .. لقد صور له الغضب الوائا رحيبة من الحلول ، فيها جيعًا دماء حارة قانية ، وشقاق ونضال ، وعداوة مستحكمة ، وأرواح تزهق ،



ونفوس تسيل على أسنّة الظبا والسّيوف ..!!

وارتجف بدنه لكلّ ذلك ، واضطرب فواده ، وهلَع قلبُه ، وأحسّ به يخفق في عنف وشدة ، حتى كاد ينخلع ويطير ، ولكنه تماسك قليلا ، وهنز راسه كانما يطرد هنده الأفكار السود من مخيّلته .. وزفر زفرة شديدة ارتجف لها من حوله ، وتلاقب أنظارهم ، وفهموا ما يعتمِل في نفسِه من أحاسيس ، ويختلج في قلبه وفؤادِه من مشاعر حمراء قانية .

ولكنه لم ير في كلّ هذه البهيمية الشهوانية الحمراء ارضاء لنزعاته ، وإرواء لنهمته ، بل على العكس وجد فيها لهيمًا يندلع أواره وحريقًا تعلو في الجو نيرائه فتعصف بالقبيلة بأسرها ، ولن تقف عند هذا الحد ، فهناك زوجات تتعصب ، وتلغ ألسنتهن في الدماء الحارة وتؤجّج النار في الصدور ، وتشعل الحقد في

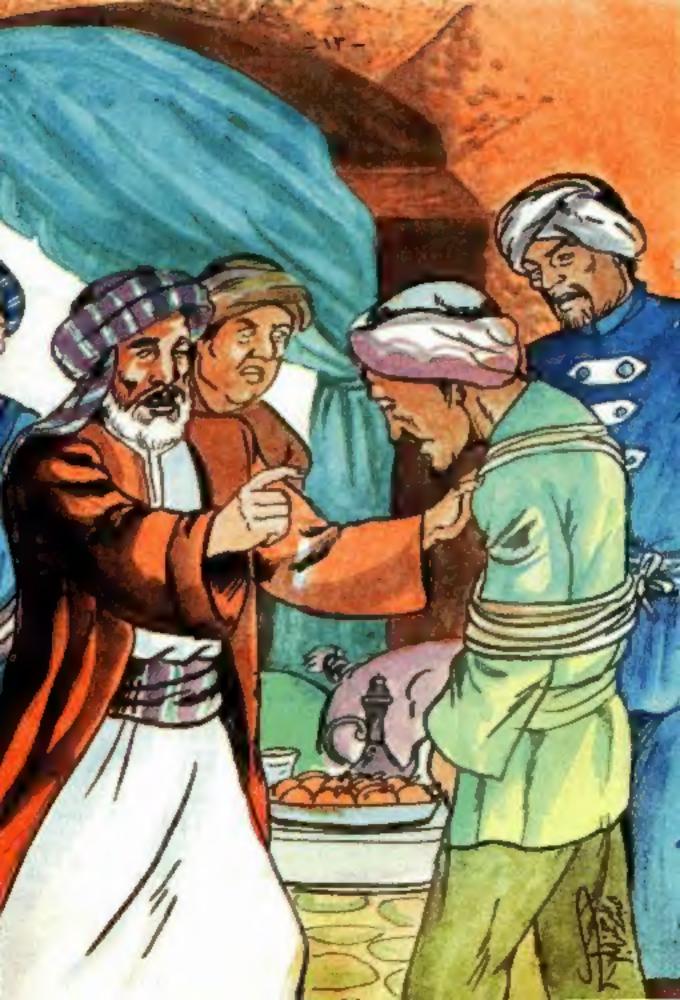
الأفتدة والقلوب .. وحوض قبائل كثيرة الفروع والبطون ، ولا بدّ من اتصال هؤلاء جميعًا بالمعركة .. بيد أن قيس بن عاصم هذا فجاة ، ونضح وجهه بالعرق البارد فارتاح من حوله ، وتمكن من جاء بالرجلين من الكلام :

ـ هذا ابنُ أخيك قتل ابنك .. !!

غَيَر أنه تابعَ حديثَه ، وظلَّ محتبياً كما كان واتَجه إلى ابن أخيه قائلاً في عتابٍ :

- أنت رميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عملك . وصمت ابن أخيه وقد شعر بموقفه على حقيقته ، فأدركه لون من الدم والذلة ، وأطرق برأسه إلى الأرض في خضوع .

واكتفى قيسٌ بدلك ، فنظرَ إلى ابنٍ له آخرَ فى قـوقٍ وحزم ، وقال :



_ قمَّ يَا بُنِّي فَادْفِنْ أَخَاكُ ، وحُلَّ كِتَافَ ابنِ عَمُّك . وتوقف قيسٌ قليلاً ، فما أسرعَ الخطراتِ الفكريّة في هذه السَّاعاتِ العصيبةِ مع رجلِ موفَّق ، إنها لتنهالُ انهيالاً من كل ناحية ، وتنشال انتيالاً من كل فج ، وتواتيه في سهولة ويسر .. لقد هدأت نفسٌ قيس بعد فَورةٍ، وارتاحتْ بعد ثورةٍ ، وعلمَ أن الشيطانُ عند كل حل ثائرٍ ، أو رأى فائرٍ ، وأنه لَمِن الضعفِ أن يندفعُ الإنسانُ في هذه السبيل أعمى أصم ، يتقادُ لتلك الشهواتِ الجائرةِ الحالقةِ ، التي تقطعُ الأرحامَ ، وتباعدُ بينَ النَّاسِ ، وتقضى على صفاتِ الخيرِ والبرُّ ، فلا يكون سوى الغضب الماحق إمامًا ، والرأي الأفسن رائدًا، والمظهرِ الوحشيِّ قائدًا .. !!

أجل هدا قيسٌ ، وارتاح قومُه لمظهرِه ، وكأنما أزيحَ عن كاهلِهم عبءٌ ثقيلٌ ، وأصاخوا إليه حينما تابع



حديثه مع ابنه:

_ واحمِلُ إلى أمُّك مائةً ، دِيةَ ابنِها فإنها غريبةً .. !! وغامت في الجو سحابة عجيبة ، والعقدت الألسنُ وخرست ، وذهل المتقريون لهذه الحكمةِ الساميةِ ، التي حفظت لهؤلاء جميعًا من قومِه وقوم زوجتِه دماءُهم وأرواحَهم وأولادَهم ، وذراريهم من بَعدِهم ، ولكن عجبهم لقوةِ الرَّجل ، وامتلاكه لزمام نفسِه واحتمالُه هذه الطعناتِ المسدَّدةِ ، ولذلك الحمل الثقيلِ ، كاد يذهب بألبابهم ، ويطيرُ بهم كلُّ مطير ، وتضاهموا بالنظراتِ الصَّامِّةِ ، ولكنها بليغةً فصيحةً ، وارتسم على كلّ وجه دلائلُ الإعجابِ والتّقديرِ .. !

